احمل سلاح الشهيد

مشايخ الجهاد الثلاثة (١)

أبو الحسن رشيد البليدي وأبو فراس السوري

(رحمهما الله)

للشيخ أيمن الظواهري (حفظه الله)



١٤٣٧

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

فإني أود أن أشير إشارةً موجزةً لمآثر ثلاثة من مشايخ الجهاد مضوا لربهم شهداء كما نحسبهم، بعد أن أمضوا أعمارهم في الجهاد والهجرة، فأسأل الله أن يتقبل منهم تضحياتهم وعطاءهم.

إنهم المشايخ أبو الحسن رشيد البليدي وأبو فراس السوري ورفاعي طه رحمهم الله رحمةً واسعةً، وأسكنهم فسيح جناته، وألحقنا بهم غير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين.

***

أما الشيخ أبو الحسن رشيد البليدي، فقد مضى لربه شهيدًا -كما نحسبه- بعد أن قدم لأمته وللمجاهدين قدوةً تحتذى في العلم والحكمة والصبر والرباط والجهاد.

كان مثالًا عمليًا على العالم المجاهد، الذي يخوض المعركة برشاشه وقلمه ولسانه، فكان يدعو الأمة للجهاد ويجاهد، ويدعوها للهجرة ويهاجر، ويدعوها للصبر ويصابر.

وكان مثالًا للحكيم الورع، الذي رأى نار الفتنة الأولى في بداياتها، فتصدى لإيقافها، وتحمل العنت من مثيريها، قال -رحمه الله- في إجاباته على أسئلة منتدى الحسبة:

"د) انحصار الدعم الشعبي في وقت ما لم يكن سببه أن الطاغوت تاب من جرائمه على كل الأصعدة أو أن الشعب وثق في[من] لبس جلد الحية، وإنما كان سببه (بكل صراحة) انحراف الجماعة الإسلامية، فكان شعبنا كمن استجار بالرمضاء والدم، و الحمد لله قد أمن على دمه وماله الآن، وسيعود شعبنا -بإذن الله- إلى أحضان المجاهدين، نسأل الله أن يوفقنا لأداء حقه علينا .

سادسًا: حقيقة الانحراف الذي حصل يومًا:

سأل السائل عن حقيقة الانحرافات التي تخلص منها الجهاد ...... والجواب في نقاط:

١- الانحراف عن المنهج الأصيل موجود في أية ملة .... وهذا القول ليس المقصد منه تبرير الانحراف، كلا لكن المراد أن لا يكون انحراف طائفة ما مسوغًا لتضخيمه، وتصويره كأنه هو الأصل، ثم يخذل الحق، ويفلسف القعود بحجة الزيغ، كلا.

.... وقد كانت ولازالت طائفة من المجاهدين في الجزائر على منهج أهل السنة والجماعة قبل الزيغ وبعده، وبفضل الله ثم بفضل تضحياتها وصبرها وثباتها وتصديها للزيغ حفظ الجهاد.

....

٢- الانحراف الذي أصاب مسار الجهاد في جزائرنا، لم يشمل كل أبنائه ولا كل البلاد، إنما كان محصورًا في طائفة انقرضت والحمد لله، وفي جزء ضيق من البلاد، أما الباقي فكان على الخط الأصيل الأول، ودليل ذلك أن الخروج عن الطائفة المنحرفة كان بمجرد ظهور بوادر الانحراف، ووصل الإنكار إلى درجة مقاتلة المنحرفين، واستشهد جمع كثير من خيرة الإخوة في التصدي للخوارج دفاعًا عن أمتنا من شرهم، والتوفيق من الله.

٣- حقيقة الانحراف يمكن ايجازه فيما يلي:

- جنوح نحو الغلو والأخذ بالأقوال المتشددة.
- عدم فهم معنى البدعة والتفريق بين المكفرة والغير المكفرة، مما نتج عنه سوء التعامل مع المخالف، الذي يفضي أحيانًا إلى القتل والقتال.
- سوء فهم معنى الجماعة، وعدم التفريق بين جماعة الإمام والجماعات الخاصة، الشيء الذي أنتج أخطاء وحدةً في التعامل مع المعارضة.
- سوء فهم معنى الموالاة وما يعد منها ناقضًا وما ليس كذلك، مما جعلهم يدخلون طوائف من الناس في طائفة الموالين للمرتدين .. وكانت هذه قاصمة الظهر".

وقال -رحمه الله- في رسالة (البيان والتبيين لحكم مموني المرتدين):

"**وفي الختام:**

الحرب قائمة مستمرة بين معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، **ومكر الطاغوت في ابتكار الحيل لضرب المجاهدين، ومحاولة زجهم في حرب مع أفراد الشعب، وتوظيف ذلك إعلاميًا باق ما دامت الحرب قائمةً**، والواجب على أهل الجهاد أمران:

- دوام اليقظة لأساليب المكر والخداع، فلست بالخب، ولا الخب يخدعني،كما قال الفاروق رضي الله عنه.
- التعامل مع النوازل بفقه وحكمة، بالوقوف مع دين الله تعالى حيث هو، فلا الغلو من دين الله تعالى، ولا التسيب والتحلل منه، إذ كلاهما مذموم غير مرضي، والوقوف عند حدود العلم دون إفراط أو تفريط".

ثم رأى أبو الحسن -رحمه الله- الفتنة تشتعل مرةً أخرى، فحذر منها بقلمه ولسانه.

وكان -رحمه الله- مثالًا على المربي الناصح لإخوانه، فكان يقتطف الثمار من الكتاب والسنة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقدمها دروسًا حيةً لإخوانه ترشدهم على الطريق، تصل حاضرهم بماضيهم وعملهم بعلمهم، وكان حريصًا في تلك الدروس على أن يرتقي بالمجاهد لرتبة الإنسان الرباني، الذي يحمل هم الدعوة، ويعالج مشاكل الجهاد بنور من قبس النبوة، يشجعه إذا أحسن، ويأخذ بيده إذا تعثر، ويدعوه لأن يكون على قدر المسؤولية، وعلى

مستوى المواجهة، وعلى درجة الأمانة التي يدعو الأمة لحملها. كان يطلب منه أن يكون عابدًا زاهدًا نبيلًا راغبًا فيما عند ربه، وفي نفس الوقت فقيهًا بواقعه متفهمًا لميدان معركته ومستوعبًا لأساليبها ومستلزماتها، متفحصًا لأخطائه، مستكشفًا لثغرات ضعفه، حريصًا على الترقي والنمو والتطور، لا يلقي بالمسؤولية على غيره إذا فشل، بل يواجه نفسه بصراحة وإنصاف، بصيرًا بالخلل فيسده، وبالخطأ فيتجنبه.

ثم جاء انتاجه الفذ (الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق) ، ليقدم رؤيةً منضبطةً بالشرع للتصورات العملية للحركات الإسلامية في تعاملها مع مجتمعاتها، وقدم في هذا الكتاب القيم على صغر حجمه نظرةً أصوليةً مدققةً، تدل على ملكته الأصولية الواضحة، واطلاعه على القواعد الفقهية وضوابط المصالح، وأظهر -رحمه الله- إدراكًا لأبعاد الواقع المعاصر، وتحذيرًا من أهل الشطط والغلو والكبر، الذين يعطون أنفسهم أكثر من أقدارهم وطاقاتهم، فيتحطمون على صخرة السنن الواقعية، لأنهم لم يلتزموا بالأخلاق الشرعية.

وذكر في خاتمته نظرات قيمةً، قدم فيها خلاصة تجربته ودراسته وجهاده على مدى ربع قرن، فكتب رحمه الله:

"إن إقامة الدين يحتاج إلى إخاء وتعاون.. وحرص على الائتلاف وأسبابه.. وتوق من الاختلاف وأسبابه.. ولو استغنى أحد عن ذلك لاستغنى عنه رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي.. وسيرته شاهدة على ذلك.. وكذا سيرة خلفائه رضي الله عنهم.

إن أية جماعة مهما كانت قوتها وكثرة كوادرها لا تستطيع بمفردها إقامة الشريعة وسياسة الناس.. فلا داعي للمكابرة والمغامرة وتضييع الفرص.. وإن تغافل الإنسان عن نقصه وعيبه لمن دواعي الغرور، والغرور من دواعي التمادي في الغي، والتمادي في الغي من موجبات الهلاك.. ورعي الإبل خير من رعي الخنازير..

ومما له علاقة بالفقه والسياسة، حسن التواصل مع الأمة المسلمة والاستفادة من طاقاتها وخيراتها".

ثم أكد في توصياته الأخيرة على وجوب الحرص على تنمية الكفاءات الشرعية والاعتناء بالعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية، والعمل على ترقية أساليب الدعوة.

فرحم الله الشيخ البليدي، فقد ترك لنا درةً فقهيةً أودعها خلاصة جهاده ودعوته وتجربته.

وهذا التوجه الفاضل يدعونا للاهتمام بتربية وترقية الكفاءات العلمية الشرعية المتخصصة في الإفتاء والقضاء والدعوة، بحيث تكون للحركة الجهادية ولدعاة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاعدتهم العلمية المتخصصة في القضاء والإفتاء والدعوة المستقلة عن هيمنة علماء السلاطين وفقهاء المارينز.

فقد استطاعت الحكومات الطاغوتية أن تحول الإفتاء والدعوة والقضاء -فيما تبقى من الأحكام الشرعية- ومراكز العلم الشرعي إلى مؤسسات حكومية، يعمل بها موظفون حكوميون، وظيفتهم تضليل الأمة وإشغالها بدين لا جهاد فيه ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ولا ولاء ولا براء، بل دين يمجد الدولة الوطنية ويتمسح بالعلمانية، ويبرر

اتفاقات الاستسلام مع اليهود ومعاهدات الشراكة مع أكابر المجرمين، دين يعلي من شأن ما يسمونه بالشرعية الدولية، أي شرعية أكابر المجرمين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، ويسعى لإخضاع عقائد الإسلام لمبادئهم وأفكارهم، التي تقوم على حضارة المنفعة واللذة.

وأصبحت معاهد وجامعات العلم الشرعي تخرج دفعات متتاليةً من جنود الدولة الطاغوتية الوطنية العلمانية، يشكلون جيشًا يدافع عن الظلم، ويبرر الطغيان، ويشرع مبادئ الطاغوت.

ويدعونا توجه الشيخ -رحمه الله- بالإضافة لذلك للاهتمام بالاطلاع على علوم العصر، والاستفادة منها في ترشيد العطاء الجهادي.

ويدعونا أيضًا للاهتمام بخطابنا للأمة، وأن نقترب منها لتقترب منا، وأن نبشرها بأن عصر الطواغيت الجبابرة الفاسدين المجرمين -الذين يتسلطون عليها- سيزول قريبًا إن شاء الله، ليحل محله حكم إسلامي راشد عادل، يعيد الحقوق، ويرد المظالم، ويحيي نهج الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ويدعونا أيضًا لتنقية الصف من أهل الشطح والتنطع والطمع والكبر والإسفاف، الذين يخالفون نهج الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم- ومنهاج أهل السنة، ويبشرون الأمة المظلومة المسحوقة المنهوبة؛ بأننا سنزيح عنك الطغاة ليتسلط عليك أحفاد الحجاج بن يوسف بالغصب والسلب والقهر والنسف والسكاكين والطلقات، وليس لك معهم إلا أن تبايعي وترضخي وتطيعي، وإن اعترضت أو رفضت أو انتقدت فأمامك واحد من خيارين إما سكين حاذقة أو طلقة فالقة.

كما يدعونا لتنقية الصف الجهادي من دعوات التفريط والانزلاق في مهاوي العلمانية والدولة الوطنية والتساوم مع أكابر المجرمين ووكلائهم الفاسدين على التخلي عن ثوابت العقيدة ومبادئ الشريعة، ويدعونا للحذر من إغراءات حكام الفساد والتبعية والمال الحرام، الذين يغرون المجاهدين بالسراب ليتخلوا عن دينهم، ويفرقوا جمعهم، ويشقوا صفهم لمعتدلين مستأنسين يمكن التفاهم معهم، ومتشددين متطرفين يجب قصفهم وإبادتهم، ثم يكتشف من يخوض في هذا المستنقع أنه -بعد إبحاره مع وكلاء الشيطان- قد غرق إلى قاع الخيبة والخسارة، التي سبقه إليها الإخوان ومحمد مرسي وقيادات التراجعات في مصر، وحينئذ يستفيق من انحرافه في السجن أو على أعواد المشانق، ويندم حين لا ينفع الندم.

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

فرحم الله الشيخ البليدي فقد ترك ثغرةً يصعب سدها، وعوضنا عنه خير العوض، وجعل شهادته وتاريخه المجيد حافزًا ودافعًا لأهل الجهاد والدعوة إلى المزيد من العطاء والترقي في معالي الحكمة والخلق والتنافس في الجهاد بالسيف والقلم. وجعل مستقره الفردوس الأعلى، وألحقنا به غير خزايا ولا ندامى ولا مبدلين.

اجعل رثاءك للرجال جزاء   وابعثه للغرب الحزين عزاء

إن الديار تريق ماء شؤونها كالأمهات وتندب الأبناء
ثكل الرجال من البنين وإنما ثكل الممالك فقدها العلماء
يجزعن للعلم الكبير إذا هوى جزع الكتائب قد فقدن لواء
علم الشريعة أدركته شريعة للموت ينظم حكمها الأحياء
شيخ الصمود ألا أزفك حادثًا يكسو عظامك في البلى السراء
قم من صفوف الحق وارقب شامنا دكت صروح الظالمين هباء
أسدًا من البنغال حتى مغرب دون العقيدة عرضةً وفداء
من ساحل الصومال حتى كاشغر قامت تلبي للجهاد نداء
من قمة القوقاز حتى كابل وبحضرموت تلاحمًا وإخاء
والهند قامت للجهاد تعيده دكا تبيد الزيف والأجراء
وتذب عن عرض النبي حثالةً متسولين أذلةً حقراء
وارقب من النشء الجديد جموعهم قد أسرعت سباقةً معطاء
روح الجهاد سرت بأمتنا فلن تبصر نكوصًا أو تر استخذاء
الدين دين الله وهو كفيله لقيت أجرًا وافرًا وجزاء[1]

***

أما الشيخ أبو فراس السوري –رحمه الله– فهو من الرعيل الأول من المجاهدين والداعين لعقيدة التوحيد، شارك –رحمه الله– في الانتفاضة الجهادية ضد حافظ الأسد، ثم استمر مجاهدًا ومهاجرًا، إلى أن استشهد في أرض الشام –عقر دار المؤمنين– بعد أربعة عقود من الهجرة والجهاد بين الشام وأفغانستان، وقد تعرفت عليه في بشاور، أثناء جهاد الأفغان للروس الشيوعيين ووكلائهم المرتدين، فكانت بيننا صداقة وأخوة في الله، ثم اضطررت للهجرة من باكستان، فتفرقنا، إلى أن التقينا مرةً أخرى في قندهار في قرية العرب المهاجرين، حين جاء لزيارة الشيخ أسامة بن لادن –رحمه الله– وإخوانه، وترتيب بعض البرامج الإعلامية معهم، وأذكر أنه قال لي حينها: إن هذه القرية وهذا التجمع –من الناحية العسكرية– ما هو إلا نقطة ازدلاف واقتراب من العدو ثم انطلاق إلى ما بعدها.

وكان كعادته منذ التقينا في بشاور –رحمه الله– حليمًا كريمًا مع إخوانه، حريصًا على نصحهم وتوعيتهم، كما كان أيضًا –رحمه الله– صريحًا في توضيح الحقائق وبيان الوقائع نصحًا لإخوانه وإخلاصًا لهم، وقد رأيت منه التعاون والمسارعة في خدمة المهاجرين والمجاهدين، ولكنه كان ينفر بشدة ممن يتلاعب أو لا يصدق في معاملاته.

---

[1] الأبيات أصلها قصيدة لأحمد شوقي مع تعديل.

ثم افترقنا بعد لقاء قندهار، إلى أن أرسل لي أخي الحبيب -شهيد الخوارج الجدد- فضيلة الشيخ أبي خالد السوري في إحدى رسائله بأن الشيخ أبا فراس السوري -رحمهما الله- قد وصل لسوريا وأنه يرى حل مشكلة جماعة إبراهيم البدري: بإصدار بيان نصح لهم، فإن لم يستجيبوا يصدر بيان بحلهم.

وقد أجبت أخي الشهيد أبا خالد السوري -رحمه الله- أن يبلغ الشهيد أبا فراس -رحمه الله- سلامي وتحياتي ودعائي بالتوفيق والحفظ، وأن يبلغه أني أرى أن مشيخة الجهاد من أمثاله وأمثالكم مهمتهم الأساسية اليوم هي جمع المجاهدين في تجمع جهادي يسعى لتحكيم الشريعة.

كما رجوته أن يتولى مع الشيخ أبي فراس توجيه ونصح وإرشاد إخواننا في جبهة النصرة.

وقد سعى -رحمه الله- في حل الخلاف مع جماعة إبراهيم البدري بالحسنى وإيثار الحكمة والمصلحة، ولكنهم تكبروا، وأظهروا ما في نفوسهم من تكفير المخالف بالشبه بل وبالطاعات.

وكان يؤكد -رحمه الله- أن الإمارة في الشام لا تقوم إلا بالتشاور مع أهل الشام والعلماء في العالم.

وأظهر -رحمه الله- رفضه وإخوانه التام لمؤامرات استدراج المجاهدين لمستنقع الدولة الوطنية العلمانية.

كما بين -رحمه الله- أن الجهاد لا يجب أن يكون لأجل نصرة تنظيم بل يجب أن يقوم لتكون كلمة الله هي العليا.

فرحمك الله يا أبا فراس، فلم تترك طريق الجهاد والدعوة شابًا وكهلًا، وألحقنا بك على خير في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

بني الإسلام بالشام استفيقوا وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
يخادعكم عميل مستذل وهل يرجى من الكذاب صدق
نموا في ذل أمريكا خساسًا لها هانوا وذلوا واسترقوا
نصحت ونحن مختلفون دارًا ولكن نصحكم دين وحق
وتجمعنا إذا اختلفت بلاد عقيدة لا تفرق أو تشق
ألا يا أمة الإسلام رصي صفوفك لا تخلخل أو تشق
ولا تصغوا لنكاث كذوب تحركه مطامعه فتشقوا
وغذوا السير تدعوكم دمشق تئن يذلها قيد ورق
أعدوا الحشد فيها نحو قدس ففتح القدس أوله دمشق[٢]

***

[٢] الأبيات أصلها قصيدة لأحمد شوقي مع تعديل.

وأكتفي بهذا القدر، وفي الحلقة القادمة –إن شاء الله– أذكر بعض مآثر الشيخ رفاعي طه رحمه الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

